

دور المرأة الجزائرية في التنظيم الصحي للثورة التحريرية 1954-1962.

The role of Algerian women in the health organization of the Algerian liberation revolution 1954-1962.

Le rôle de la femme algérienne dans l'organisation sanitaire de la révolution de libération algérienne 1954-1962.

عبد القادر تركي¹*

تاريخ الإرسال: 2024/11/15 تاريخ القبول: 2025/12/03 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

يعالج هذا المقال جانب من الجوانب الهامة في تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، ويتعلق الأمر هنا بمحاولة إبراز الدور الكبير الذي لعبته المرأة الجزائرية في التنظيم الصحي للثورة التحريرية، فبعد اندلاع الثورة وبداية العمليات العسكرية بين جيش التحرير والجيش الفرنسي وهذا ما نتج عنه أعداد كبيرة من الجرحى والمصابين في الجانبين، هذا الأمر دفع بجهة التحرير الوطني إلى الاهتمام بتكوين جهاز صحي تابع للثورة التحريرية تكون له خلايا في أماكن تواجد وتمرکز كتائب جيش التحرير الوطني باعتبار أن هذا الأمر سيكون داعماً كبيراً للعمل الثوري المسلح، وبما أن الرجال الجزائريين كانوا دائماً محل شبهة واعتقال عند سلطات الاحتلال فقد اعتمدت جهة التحرير بشكل كبير على المرأة في هذا الجانب حيث أن الجبهة أقامت دورات تدريبية سريعة لتدريب الفتيات على الإسعافات الأولية واستعمال الأدوية وطرق تضميد الجرحى وكيفية إخراج الرصاص من الجسم وغيرها. إن هذا المقال يهدف إلى إبراز مدى مساهمة المرأة الجزائرية في استمرارية ونجاح الثورة التحريرية، وقد اتبعت المنهج التاريخي في إعداد هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: المرأة الجزائرية؛ التنظيم الصحي؛ الثورة التحريرية؛ الاحتلال الفرنسي.

Abstract :

This article deals with one of the important aspects in the history of the Algerian Liberation Revolution from 1954 to 1962. Here it is an attempt to highlight the great role that Algerian women played in the healthy organization of the Liberation Revolution. After the outbreak of the revolution and the beginning of military operations between the Liberation Army and the French Army, this resulted in large numbers Of the wounded and injured on both sides, This matter prompted the National Liberation Front to take an interest in forming a health apparatus affiliated with the liberation revolution that would have cells in the locations where the National Liberation Army brigades were located and stationed, considering that this would be a major support for armed revolutionary action. Since Algerian men were always the subject of suspicion and arrest by the occupation authorities, the Liberation Front relied heavily on women in this aspect, as the Front held rapid training courses to train girls in first aid, the use of medicines, methods of bandaging the

* المؤلف المراسل

¹ Terki Abdelkader, Université 20 Août 1955 Skikda, Social research and studies laboratory: Algeria, a.terki@univ-skikda.dz.

wounded, how to remove bullets from the body, and others. This article aims to highlight the extent of Algerian women's contribution to the continuity and success of the liberation revolution, and I have followed the historical approach in preparing this article.

Keywords: Algerian women; Health organization; The Algerian Liberation Revolution; French colonialism.

Résumé :

Cet article traite d'un des aspects importants de l'histoire de la Révolution de Libération algérienne de 1954 à 1962. Il s'agit ici d'une tentative de mettre en évidence le grand rôle que les femmes algériennes ont joué dans l'organisation sanitaire de la Révolution de Libération après le déclenchement de la Révolution de Libération. Avec le début de la révolution et les opérations militaires entre l'Armée de Libération et l'Armée française, cela a entraîné un grand nombre de blessés des deux côtés, Cette affaire a incité le Front de libération nationale à s'intéresser à la création d'un appareil de santé affilié à la révolution de libération qui aurait des cellules dans les localités où se trouvaient et stationnaient les brigades de l'Armée de libération nationale, estimant que cela constituerait un soutien majeur aux mouvements armés révolutionnaires. Les hommes algériens étant toujours l'objet de soupçons et d'arrestations de la part des autorités d'occupation, le Front de libération s'est fortement appuyé sur les femmes dans ce domaine, car le Front a organisé des cours de formation rapide pour former les jeunes filles aux premiers secours, à l'utilisation des médicaments, aux méthodes de pansement des blessures, comment retirer les balles du corps, et autres. Cet article vise à mettre en évidence l'étendue de la contribution des femmes algériennes à la continuité et au succès de la révolution de libération, et j'ai suivi l'approche historique dans la préparation de cet article.

Mots clés : les femmes algériennes ; l'organisation sanitaire; La révolution de libération algérienne ; La colonisation française.

مقدمة

تعتبر ثورة نوفمبر 1954 إحدى أهم الثورات التي جسدت المفهوم الحقيقي لمصطلح "ثورة" في التاريخ المعاصر، هذا المفهوم يحمل عدة أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، ذلك أن مفهومها يتعلق بشكل مباشر بمفهوم الاستعمار؛ فإن كان الاستعمار يعني السيطرة على البلد المستعمر من كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها فالثورة هي الرفض العنيف لكل ما يمثل الاستعمار في مختلف الجوانب السالفة الذكر.

لقد كانت المواجهات العسكرية بين ثوار جيش التحرير الوطني وقوات الجيش الفرنسي خلال الثورة التحريرية مواجهات دامية ومستمرة تكبد على إثرها الطرفان خسائر مادية وبشرية كبيرة، وكان من أبرز هذه الخسائر التي نتجت عن هذه المعارك والاشتباكات وجود أعداد كبيرة من المجاهدين المصابين والجرحى، هذا الأمر دفع بجهة التحرير الوطني إلى الاهتمام بالقطاع الصحي للثورة التحريرية اهتماماً كبيراً، حيث وضعته في مقدمة اهتماماتها خاصة في مؤتمر الصومام

1956. وللتكفل هؤلاء المجاهدين الجزائريين الجرحى والمصابين والمرضى قامت جبهة التحرير الوطني بتكوين مستشفيات متنقلة للقيام بإسعافهم بما يتوفر لديها من إمكانيات مادية وبشرية، واعتمدت في ذلك بشكل كبير على المرأة الجزائرية. ومنه فقد لعبت المرأة الجزائرية دوراً كبيراً في هذا التنظيم الصحي الخاص بالثورة التحريرية فكانت في أغلب الأحيان هي الطبيبة وهي الممرضة التي تعتني بالمجاهدين. ومنه أ طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت المرأة الجزائرية في تكوين واستمرارية الجانب الصحي للثورة التحريرية؟

وللإجابة على هذا التساؤل سأقوم بتسليط الضوء على اهتمام جبهة التحرير الوطني بالجانب الصحي للثورة التحريرية، والدور الهام الذي لعبته المرأة في هذا المجال، والتضحيات التي قامت بها من أجل التكفل بالمجاهدين المرابطين في المدن والجبال.

1- اهتمام جبهة التحرير الوطني بالجانب الصحي

بادرت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الأولى للثورة التحريرية إلى توظيف جميع إمكانياتها ووسائلها من أجل القضاء على الثورة، ومن ذلك تضيقها على الدعم الطبي والصحي للمجاهدين الجزائريين وذلك من خلال ممارسة التضيق والخنق المقنن على جميع منتسبي الجهاز الطبي أو تخصص الطب في الثانوي من الجزائريين، إضافة إلى مراقبة حركة نقل الأدوية وبيعها في الصيدليات والمستشفيات بغرض عدم وصولها للمجاهدين (محمدي، 2019، صفحة 684).

كانت السلطات الفرنسية قد قررت منذ الشهور الأولى للكفاح التضيق على عملية بيع الأدوية الخاصة بعلاج الالتهابات وعلى الأثير والكحول والحقن المضادة للكرزاز، وكان على الجزائري الراغب في الحصول على أحد هذه الأدوية أن يقدم إلى الصيدلي المعلومات المفصلة على حالته الشخصية أو عن هوية المريض الشخصية، وغالبا ما كانت تضمد جروح المجاهدين الجزائريين بواسطة الماء الدافئ، كما كانت تمارس عمليات البتر بدون بنج لعدم وجود مادة الأثير، ولأن الأدوية التي كانت تستعمل آليا قبل اندلاع الثورة قد تحولت إلى أسلحة؛ فالعديد من الأسر الجزائرية شهدت وهي عاجزة موت المجاهدين وهم يموتون في منازلهم بالكرزاز بطريقة مؤسفة (الفضة، 2017، الصفحات 258-259).

لهذه الأسباب مجتمعة اضطرت جبهة التحرير الوطني لإنشاء مصلحة الصحة التابعة لجيش التحرير؛ مهمتها الاعتناء بجرحى جيش التحرير، وكذلك بالأسرى والجرحى واللاجئين الجزائريين، فمنذ سنة 1955 عملت الثورة على إنشاء لجان للصحة في كل مكان توفرت فيه الإمكانيات لمساعدة المرضى ولاسيما لمعالجة الجرحى، وذلك عبر كامل التراب الوطني؛ ثم في المغرب وتونس بعد وصول اللاجئين بكثرة وكان كل قطاع ينظم حسب موارده ويكلف بتقديم العلاج الأولي لجرحى الحرب أو السكان المدنيين (الفضة، 2017، صفحة 259).

عاشت الثورة التحريرية في مرحلتها الأولى 1954-1962 نقصاً فادحاً في توفير الخدمات الصحية التي اعتمدت على الوسائل التقليدية والعلاج البسيط، ونظراً لتطور أحداث المعركة بين جيش التحرير والقوات الفرنسية وزيادة عدد الجرحى والمرضى في صفوف المجاهدين والمدنيين على حد سواء، ومنه فإن هذه المرحلة لم تشهد أي تنظيم صحي تابع لجبهة التحرير الوطني، كما اكن هنالك شح كبير في الوسائل المادية وفي الإطارات البشرية لهذا الجانب، ومنه فقد كان من الضروري تأسيس تنظيم صحي تابع لجبهة وجيش التحرير الوطني (مرجع، 2017، صفحة 237)، ولذلك نجد أن قادة الثورة قد حرصوا بعد ذلك على تطوير الجانب الصحي للثورة، وهو ما أقرته قرارات مؤتمر الصومام وتوصياته بضرورة تنظيم ودعم مصلحة الصحة فقد تم عقد لقاء بيجال الزبربر في سبتمبر 1956، وقد ضم هذا اللقاء إطارات القطاع الطبي بالولاية الرابعة وتم خلاله وضع نظام صحي ثوري يتماشى والتنظيمات التي أحدثها مؤتمر الصومام، فصار لكل منطقة طبيها الخاص، كما أصبح لكل ناحية مركز صحي يشرف عليه ممرض أو أكثر، ولكل كتبية ممرض بإمكانه تقديم الإسعافات أثناء المعارك (كلاخي، 2019، صفحة 56).

1-2 إضراب الطلبة 1956 ودوره في تطور التنظيم الصحي للثورة

منذ اندلاع الثورة التحريرية في 1954 ظلت الأحداث تتسارع في الجزائر وفرنسا بشكل بارز، وفي هذه الاثناء واستجابة لنداء جبهة التحرير الوطني فقد اجتمع أعضاء اللجنة الجزائرية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 19 ماي في نادي سعدان الموجود بالقصبة السفلى بالجزائر العاصمة وصوتت الأغلبية منهم على لائحة تطالب بالإضراب العام اللامحدود عن الدروس والامتحانات وتدعوا الطلبة للانخراط في صفوف جيش وجبهة التحرير الوطني، وقد كان هذا الاضراب موجهاً لطلبة الثانويات. وقد أعطى هذا الاضراب النتيجة المنتظرة منه فقد تقلص عدد الطلبة المتدربين في الجزائر من 5198 إلى 4700 طالب خلال سنة 1956، فيما تراجع عدد الطلاب الجزائريين في فرنسا من 2080 إلى 1811 طالب، وقد التحق أغلب أولئك الطلبة الذين أضربوا عن الدراسة بجبهة وجيش التحرير الوطني (خياطي، 2013، الصفحات 86-89)، وفي احصائيات المناضلات اللواتي التحقن بالثورة بعد اضراب 1956 فقد قدر عددهن بما يقارب 2000 مناضلة التحقن بصفوف الثورة بين سنتي 1956 و1958، إن معظم المجاهدات اللواتي التحقن بالثورة بعد سنة ماي 1956 كانت تحدهن روح الوطنية وذلك ما عبرن عنه بالتحاقهن بجيش التحرير الوطني (بوعزة، 2007، الصفحات 225-226).

إن الإضراب التاريخي الذي قام به الطلبة الجزائريون في 19 ماي 1956 شكل واحدة من أهم المحطات التي مرت بها الثورة التحريرية فقد ساهم هذا الإضراب في دعم الثورة التحريرية عموماً والجانب الجانب الصحي للثورة بالخصوص خلال هذه المرحلة بشكل كبير، فبعد هذا الإضراب التحق عدد كبير من طلبة الطب والتمريض والصيدالة بجيش التحرير الوطني وأصبحوا أطباء وممرضين مجندين في صفوف جيش التحرير الوطني يقومون بخدمة رفقائهم من المجاهدين العسكريين،

وشيثاً فشيئاً ساعم هؤلاء الطلبة في تطوير وتنظيم الجانب الصحي للثورة من خلال التنقل للجبال لمعالجة المجاهدين الجرحى والحصول على الأدوية أو صنعها في كثير من الأحيان.

ونجد من طلبة الطب والتمريض الذين التحقوا بالثورة في الولاية الأولى بعد الاضراب الممرضة زكية بوضياف من مواليد 1935 بسطيف والتي التحقت بالثورة في نوفمبر 1956، كما نجد أيضاً الممرضة فطيمة قيدومي التي استشهدت في الجبال مع المجاهدين في أواخر عام 1957 (خياطي، 2013، صفحة 514)، كما نجد من أبرز الأطباء والممرضين الذين انخرطوا في صفوف الثورة بالولاية الثانية بعد إضراب الطلبة الطبيب الأمين خان والذي قام بعدها بتكوين عدد من الرجال من بينهم المجاهد شكروود رمضان، حميد من ميله، بوعصرية من الطاهير مبارك فافة، عميمور سعد من جيجل وغيرهم، كما التحقت بعض الفتيات بالتنظيم الصحي في الولاية الثانية ونذكر منهن المجاهدة خديجة بلقمبرور الملقبة بـ"فريدة"، عائشة قنيبي (بورمضان، 2023، الصفحات 331-337).

كان هناك عدد من الأطباء والممرضين المنخرطين في صفوف التنظيم الثوري بالولاية الثالثة أيضاً ونذكر من أبرزهم الدكتورة نفيسة حمود من مواليد سنة 1924 بالجزائر العاصمة والتي انخرطت في صفوف الثورة في نهاية سنة 1955 وأصبحت تنشط في اللجنة الصحية التابعة لجيش التحرير تحت اسم "لويزة"، والممرضة مليكة قايد التي كانت ممرضة في القطاع الصحي لقيادة الولاية الثالثة في إفري إضافة إلى ممرضات أخريات نذكر منهن: فتيحة هرموش، حفصة بسكر، لويزة عطوش، فاطمة الزهرة أومحققان، رشيدة بلحسن، نفيسة حمود وغيرهن من الممرضات (خياطي، 2013، الصفحات 215-216، 520).

وفي الولاية الرابعة التحق 157 طالب بصفوف جيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة وحدها، وهذا ما مكن الثورة من إنشاء مراكز صحية أخرى أدت دوراً مهماً سواءً بالنسبة لأفراد جيش التحرير أو المواطنين (حسيني، 2017، صفحة 3). ومن الأطباء الذين التحقوا بالتنظيم الصحي للثورة نجد: العقيد حسن يوسف الخطيب، الدكتور إسماعيل دهلوك محفوظ، الدكتور المعبد حرموش. أيضاً كان هنالك عدد من الطالبات اللواتي انضممن إلى التنظيم الصحي للثورة بالولاية الرابعة نجد:

- الشهيذة مريم التي شغلت مهمة التمريض.
 - المجاهدة فاطمة حسين المدعوة فريدة والتي كانت تقوم بمهمة التمريض أيضاً.
 - المناضلة مريم بن محمد. وغيرهن من الطالبات اللواتي آثرن التضحية بمستقبلهن العلمي وحياتهم في سبيل الثورة التحريرية.
- وبهذه العناصر تكونت المراكز الصحية الأولى بالولاية الرابعة لتتطور فيما بعد شيئاً فشيئاً حسب ظروف الكفاح المسلح (حسيني، 2017، صفحة 4).

في الولاية الخامسة أيضاً نجد ان التنظيم الثوري قد تدعم بعدد من الأطباء والمرضى والمرضات بعد سنة 1956 حيث انضم كل من البروفيسور المختص في طب العيون لزرقي حسان الذي كان نشاطه في منطقة وهران، والدكتور بن علي عيسى، الحكيم بلعوان مولود، الحكيم شرفة محمد السعيد، الحكيم تازي محمد عبد الرحمن والحكيم محمد بن مبارك الجزائري، الدكتور بن عودة بن زرجب (بوجلة، 2014، الصفحات 186-188)، كما أن قيادة الولاية الخامسة أدركت أهمية خدمات المرأة في مجال التمريض فبادرت إلى الاتصال بالمرضات سواء اللاتي تخرجن أم لازلن يدرسن بالمدارس الشبه طبية بمدينة وهران وأقنعتهن بالمشاركة في الثورة، ونتيجة لذلك فقد التحقت 15 ممرضة بالتنظيم الثوري (بكرادة، 2016-2017، صفحة 161). ومنه فقد عرفت المنطقة انضمام عدد من المرضات لصفوف التنظيم الثوري نذكر منهن: الممرضة زوييدة ولد قابلية الملقبة بـ "صليحة" والتي عملت مع الدكتور يوسف دمرجي، ليلي الطيب، مريم مختاري، زبيدة ياخو، خديجة تلمساني وغيرهن، وبدورها عرفت الولاية السادسة انخراط عدد من الأطباء والمرضى نذكر منهم: خير الدين شريف الذي كان مسؤول الصحة للولاية السادسة برتبة رائد، ومن بين المرضات نجد السيدة بولرباح (خياطي، 2013، صفحة 529).

كان وصول طلبة الطب والتمريض الجزائريين إلى الجبال في دفعات متتالية وقد شكل ذلك دعماً مادياً ومعنوياً للجنود المجاهدين كونهم أصبحوا يتكفلون بالمرضى والجرحى كما أنهم لعبوا دورهم في العلاج الوقائي وكانوا يقدمون خدماتهم لسكان المناطق المعزولة، كما أن هؤلاء الطلبة حرصوا على ترسيخ مبادئ النظافة سواء في أوساط الجنود أو في أوساط السكان المدنيين، فعلى سبيل المثال كان كل مجاهد في الولاية الرابعة يتحفظ في حقييته بقطعة صابون ومعجون أسنان وفرشات أسنان (خياطي، 2013، صفحة 98). إن هؤلاء الطلبة الأطباء والمرضى والمرضات بعد انضمامهم للثورة قد ساهموا مساهمة فعالة في تطوير التنظيم الصحي للثورة كما أنهم أعطوا نفساً قوياً للثورة وللجزائريين من اجل مواصلة الكفاح الثوري.

1-3 التنظيم الصحي للثورة التحريرية في اهتمامات مؤتمر الصومام 1956

بعد انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 لجأت قيادة الثورة التحريرية إلى تكوين جهاز صحي خاص بجهة التحرير واعتمدت فيه بشكل كبير على الإمكانيات التي تحوزها المرأة الجزائرية والتي بإمكانها أن تطور من هذا القطاع الحساس، ومنه فقد توجهت قيادة الثورة لاستغلال الإمكانيات التي تحوزها المرأة كخيار ملزم للتملص من السياسة التي اتبعتها السلطات الفرنسية في هذا القطاع، وهذا ما أثبتته قرارات مؤتمر الصومام حيث نجد في ميثاق الصومام: «...توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر باطراد...» (محمدي، 2019، صفحة 684).

وفي الجانب الصحي الذي يعتبر من أحد أهم المشاكل التي يعاني منها المواطن الجزائري اقترح برنامج مؤتمر الصومام خطة لتنظيم المصالح الصحية والتي تشمل:

- توفير وتكوين جراحين وأطباء وصيادلة ليكونوا على اتصال بعمال المستشفيات.
- تنظيم العلاج والحصول على الأدوية والضمادات.
- إقامة عيادات في الأرياف للإشراف على معالجة المرضى أو من كانوا في دور النقاهة (سعد الله، 2017، صفحة 634).

مؤتمر الصومام بدوره حرص على تطوير الجانب الصحي في الجزائر، وذلك خدمةً للمجتمع الجزائري، فقد قرر المؤتمر إنشاء تنظيم صحي خاص بالثورة مع تحديد المسؤوليات، ويتم تنظيم هذا القطاع على مستوى كل ولاية (دري، 2018-2019، صفحة 101)، فأصدرت جبهة التحرير الوطني نداءً إلى الطلاب والمرضى والأطباء بالانضمام إلى الثورة، ونظمت اجتماعات بين مسؤولين سياسيين وبين مختصين في الصحة والتي انضم لها بعد ذلك مدنيون من الأهالي كانوا مختصين في شؤون الصحة العامة لتصبح جميع المسائل تعالج بفكر ثوري ممتاز، فلم يكن هناك أي نظام سلطوي وإنما على العكس كانت هناك جهود مشتركة وعزائم مصممة على تحقيق مشروع صحي متقن هدفها السهر على صحة الشعب والمجاهدين الجزائريين، فقد كانت الأقسام الصحية تستعمل وسائل متنوعة لمساعدة السكان وتخفيف آلامهم البدنية والروحية، فقد أنقذ الجنود الأطباء العديد من المصابين بوسائل بسيطة وجرأة كبيرة، كبتز عضو دون تحذير وبمنشار بسيط، وذلك طبعاً بموافقة الجرحى الذين كانوا مصحوبين بإيمان نادر وشجاعة خارقة. وكانت مصلحة الصحة العسكرية المتمركزة في وجدة مكلفة باستقبال الجنود الجرحى وعلاجهم وإيوائهم ورعايتهم الصحية (الفضة، 2017، صفحة 260).

وضعت جبهة التحرير الوطني ميزانية خاصة لدى الجيش للمساعدات الطبية الاجتماعية تخص السكان المدنيين، وبدأت تنظيمات الثورة تدفع أثمان الدواء والإجلاء عن الجزائريين وكان على المصلحة الطبية لجيش التحرير أن تعيد تنظيم نفسها، فتأتي بالمتطوعين في التمريض والمرضات السابقات والمعاونات التقنيات، والفتيات والطلبة الذين أضربوا عن الدروس، فكان هؤلاء جميعاً يمثلون الإطارات الجديدة في ميدان الطب والتمريض، وهكذا جاء طلبة الطب وطب الأسنان والصيدلة فكانوا هم المؤطرين والمعلمين في نفس الوقت، وتسهيلاً لمهمتهم أنشئ منصب مسؤول الصحة في كل منطقة، وكان من مهمة مسؤول الصحة نشر وتقديم النصائح الصحية على مستوى جيش التحرير (سعد الله، 2017، الصفحات 634-635).

كانت الفرق الصحية لجهة التحرير الوطني تنتقل من قرية إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر تعلم الناس مبادئ الوقاية الصحية وتقدم لهم الإرشادات والنصائح، وكان ضابط كل فرقة مسؤولاً عن احترام القواعد الصحية في فرقته (هلال، 2012، صفحة 59)، ومن هنا فقد نجحت جبهة التحرير الوطني في كسب ثقة الشعب الجزائري، حيث أصبح كل مجاهد أو مواطن متأكداً من أن أحدهم إذا ما جرح أو كسر أحد أعضائه فإن لديه من يعالجه من إخوانه المجاهدين داخل المستشفيات التي بدأت الجبهة بتكوينها داخل الولايات (كافي، 2013، صفحة 161). فقد كانت وحدات جيش التحرير الوطني تنطلق من مراكزها نحو المداشر والقرى لمعالجة المرضى المدنيين وهي مزودة بوسائل التمريض التي كانت أغلبها بدائية، فقد كانت المبادرات الفردية المرتكزة على الوسائل البسيطة هي العامل الأهم في معالجة المرضى والجرحى سواء من المدنيين أو العسكريين، وكثيراً ما أجريت عمليات جراحية خطيرة بوسائل بسيطة ودون تخدير وكللت بالنجاح (بومالي، 1985، صفحة 165). كما كان يستعان في معالجة المرضى والجرحى من جنود جيش التحرير الوطني بأطباء وممرضين جزائريين مناضلين، ويستعان في نفس الوقت بمواطنين من ذوي الخبرة في الطب الشعبي التقليدي خاصة في علاج كسور العظام والجروح الناتجة عن الإصابات خلال الاشتباكات مع العدو (بومالي، 1985، صفحة 165).

في جانب آخر أنشأت جبهة التحرير الوطني عدة مدارس خاصة لتكوين الممرضين والممرضات بالوسائل المتوفرة والمتاحة لتخريج الأعداد الكافية وحددت شروط معينة للإلحاق بهذه المدارس كضرورة توفر الطالب على الشهادة الابتدائية، ثم بعد ذلك فتح الباب أمام الشباب، ولتفعيل نقل المعلومات الخاصة بالتمريض ألفت جبهة التحرير كتاباً سمي بـ "دليل المجاهد للإسعاف المستعجل" (عسال، 2014، صفحة 175). كما عمدت الجبهة بعد ذلك إلى تكوين أعداد من البنات اللواتي قررن الانخراط في الجهاد ممن يعرفن القراءة والكتابة، حيث تقدم لهم تكويناً سريعاً في كيفية وضع الضمادات وتبديلها واستعمال الحقن وتقديم بعض الأدوية في بعض الحالات كالسعال والإسهال (عسال، 2014، صفحة 175).

1-4 بدايات تكوين الأطباء والممرضين الجزائريين خلال الثورة التحريرية

لمواجهة العجز في الإطارات الطبية عمد قادة الثورة إلى الاعتماد على الإطارات الطبية التي التحقت بالثورة في تكوين المجاهدين الملتحقين من الطلبة والتلاميذ، بالإضافة إلى الفتيات اللواتي غادرن بيوتهن بعد أن اطلع الفرنسيون على نشاطهن، وقد تلقوا تكويناً سريعاً في كيفية وضع الضمادات وتبديلها واستعمال الحقن وتقديم بعض الأدوية في حالات الأمراض الموسمية وسط أفراد الجيش والمواطنين (حسيني، 2017، صفحة 5). ومن أبرز هؤلاء المكونين نجد الدكتور الأمين خان الذي لعب دوراً كبيراً في تكوين الممرضات المنخرطات في صفوف الثورة بالولاية الثانية حيث استقبل مجموعة مكونة من

22 تلميذة ثانوية من سطيف وقسنطينة عام 1956 وقام بتكوينهن، ثم خلفه من بعده الدكتور محمد تومي في هذه المهمة (خياطي، 2013، صفحة 515).

ونجد أيضاً من المكونين الأستاذ يوسف دمارجي الذي لعب دوراً بارزاً في تكوين الممرضات في الولاية الخامسة، ففي شهادة المجاهدة مريم مختاري حول تكوين الممرضين تقول: «عند التحاقني بالفرقة الطبية التي كانت تحت إشراف يوسف دمارجي عانقتني المجاهدة زبيدة ولد قابلية كأنها تعرفني منذ سنين، أما الدكتور فقد رحب بي واعتبرني منذ انضمامي لفرقته كابنة له، وأنا بدوري شعرت كأني مع والدي... وبعد مدة التحق بنا الطبيب مكّي الذي كان يدرسنا كل مساء أساسيات التمريض، إضافة إلى منحنا كتاباً يحتوي دروساً في الإسعافات الأولية، وقد كنا حريصين ومتعاونين على فهم الدروس ومراجعتها، وبم يكن مركزنا في مكان واحد؛ بل كان متنقلاً على حسب تنقلات الجيش الفرنسي...» (كلاخي، 2019، صفحة 56). كما أن قيادة الثورة كانت قد وضعت عدة شروط لتكوين الفتيات في مجال التمريض ومن ضمن تلك الشروط أن تكون لها مستوى لا يقل عن شهادة التعليم الابتدائي بالفرنسية، إضافة إلى استعدادها للتواجد في الجبال والتضحية من أجل الثورة (بكرادة، 2016-2017، صفحة 164).

إن جبهة التحرير كانت قد شجعت الأطباء والممرضين المنخرطين في صفوف جيش التحرير الوطني من خلال تخصيص منح مالية لهم نصير جهودهم التي يقومون بها، وقد تم إقرار ذلك في قرارات مؤتمر الصومام 1956 حيث حدد مرتب الممرضين والممرضات ب 1500 فرنك شهرياً، أما مرتبات الأطباء المساعدين فقد حددت ب 2500 فرنك شهرياً، أما الأطباء فقد حدد راتبهم ب 3500 فرنك شهرياً (لعبيدي، 2016، صفحة 92).

2- دور المرأة الجزائرية في التنظيم الصحي للثورة

بعد اندلاع الثورة التحريرية لم تتخلف المرأة الجزائرية عن صفوف الجهاد بل التحقت بصفوف الثورة وواجهت قوات الاحتلال بجانب الرجال المجاهدين في جميع المجالات العسكرية والسياسية وخاصة الخدمات الاجتماعية؛ فقد لعبت المرأة دوراً فعالاً في التنظيم الصحي للثورة التحريرية كون هذا التنظيم يغوص في أعماق المجتمع ويستطيع بواسطته الأطباء الاطلاع على انشغالات أفراد المجتمع من خلال العلاقة المباشرة التي يتطلبها فحص المرضى، ولهذا فقد كان توظيف الفتيات في هذه المسؤوليات الثورية أنسب شيء (حسيني، 2017، صفحة 7).

تقوم مجاهدات جيش التحرير بعلاج المرضى والجرحى، وقد أهلتها صفات مثل الرقة والرأفة وغريزة الأمومة لمثل هذه الوظائف، وقد كانت المناضلات موجودات أثناء الاشتباكات والمعارك الحامية الوطيس تسرع لإسعاف الثوار الجرحى

وتغمرهم برفقها وتحيطهم بعطفها واهتمامها، فتضمد جراحهم وتقوي معنوياتهم وتبعث في نفوسهم الأمل وتصبرهم لكيلا يشعروا بالملل واليأس وترجع لهم الثقة في نفوسهم (بركات درار، 1985، صفحة 35)، وكمثال على ذلك نجد أن قيادة الولاية الرابعة قد أوفدت الممرضة مسعودة باج رفقة الدكتور حسن إلى المنطقة السابعة بالولاية الخامسة لتلبية لطلب هذه الأخيرة من أجل معالجة المجاهدين وتقديم الإسعافات الأولية للمصابين منهم، وقد قامت هذه البعثة بالمهمة المكلفة بها على أتم وجه ثم عادت إلى الولاية الرابعة في نهاية سنة 1957 (ياحي، 2007، صفحة 253).

وهناك أيضاً دور آخر وهو توفير الأدوية فهناك بعض الممرضات اللواتي زودن الثورة بالأدوية من مكان عملهن ومن خارجه فكن يقمن بجمع الادوية واللباس والمؤونة من المدن ويسلمنها للمجاهدين في الجبال (خالدي، 2007، صفحة 193). وكمثال على هذا الدور نجد أن المناضلة الممرضة الزهرة بوراوي من ولاية تبسة والتي كانت تعمل في قسم الجراحة النسائية بأحد المستشفيات بالمنطقة فكانت تقوم بتسريب الأدوية والمعدات الطبية وتسليمها إلى بعض المناضلين حيث أن قيادة الثورة في المنطقة الخامسة من الولاية الأولى كانت قد طلبت منها تسريب الأدوية ومواد التخدير على وجه الخصوص فقامت الممرضة المجاهدة بدورها على أكمل وجه (مجموعة مؤلفين، 2007، صفحة 352). وفي نفس السياق نجد شهادة الممرضة فتيحة طيب بن براهيم التي كانت تعمل في عيادة الطبيب بن سمون الخاصة بالولاية الخامسة وتقوم بتسريب الأسلحة للثورة فكانت تأخذ في كل مرة بعض الأدوية دون علمه وبكميات صغيرة حتى لا تثير الشكوك حولها ثم تقوم بتقديم تلك الادوية للتنظيم الصحي التابع لجيش التحرير، ولما قررت الانخراط بالثورة قامت بتجهيز كل الأدوية التي كانت في العيادة إضافة إلى معدات الجراحة من سماعات وآلة قياس الضغط (بكرادة، 2016-2017، صفحة 153).

ومن بين هؤلاء الفتيات نجد المجاهدة فاطمة حسين المدعوة فريدة حرم الطبيب سعيد حرموش الأنف الذكر حيث ذكرت أنها قبيل إضراب الطلبة كانت على علاقة بالتنظيم السري لجبهة التحرير، ولما اطلعت السلطات الفرنسية على نشاطها التحقت رفقة مجموعة من الفتيات بالثورة وهن: مريم بن ميهوب، صفية يزي، فضيلة بسكار، حفصة مصلي وكلهن كن تلميذات بالطور الثانوي، وقد كلف سعيد حرموش بتكوينهن وتعليمهن المبادئ الأولية للطب والتمريض كوضع الضمادات وتبديلها ووضع الحقن، مع قياس الحرارة وتقديم الإسعافات الأولية للجرحى (حسيني، 2017، صفحة 7).

كما أن طالبات الطب والتمريض كن قد تقلدن مناصب إدارية عالية في قطاع الصحة التابع لجيش التحرير الوطني فنجد مثلاً أن الممرضة المجاهدة شراد يمينة أرملة الشهيد بشير بن ناصر السوفي تم تعيينها من طرف قيادة الولاية الثانية للثورة كمسؤولة على تسيير أول مشفى ميداني بمنطقة بوداود بالولاية الثانية بداية من سنة 1957 (بسر، 2023، صفحة 97)، ونجد كذلك من بين المجاهدات اللاتي أصبحن مسؤولات في ميدان قطاع الصحة بالولاية الثانية: مسيكة زيزة، ليلي

موساوي، مريم بوعتورة، جميلة عمران وغيرهن من المجاهدات، وقد أحصى الدكتور محمد التومي ما بين 300 إلى 500 بنت جزائرية كانت ضمن المرشدات اللاتي يقمن بالطب والتوعية في صفوف جيش التحرير الوطني (لعبيدي، 2016، الصفحات 95-96).

وعن شهادات المجاهدات في الجانب الصحي تقول المجاهدة مريم مختاري: «كانت بدايتي مع التمريض تتمثل في عملية التلقيح، وحلاقة شعر الرؤوس كعلاج من القمل، وبمرور حالات المرضى ومع ملازمتي الدائمة للدكتور دمارجي في العمليات الجراحية اكتسبت العديد من الخبرات، وازدادت تطوراً في طرق المعالجة، علماً أنه كان لا يبدأ بمعالجة المريض قبل البسملة؛ بل ويعطي لنا درساً في أثر البسملة على شفاء المريض... ومن المجاهدين الذين عالجتهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر كلاً من حمو لعرج ورونشي عبد القادر، حيث تعرض هذا الأخير لإصابة خطيرة غير أن الله أطال في عمره» (كلاخي، 2019، صفحة 57).

ونجد كذلك من مجاهدات الولاية السادسة (الصحراء) اللاتي لعبن دوراً في التنظيم الصحي للثورة التحريرية المجاهدة بافضل فاطمة الزهراء من بني يزقن بميزاب (غرداية) والتي عملت ممرضة في صفوف جيش التحرير الوطني حيث أشرفت على معالجة الجرحى من الثوار وكذلك تحضير الطعام وتوفير الأدوية لهم وغسل ملابسهم وما إلى ذلك من أساليب الجهاد (مرابطي، 2021، صفحة 40).

كانت هناك مهمة أخرى كلفت بها قيادة الثورة الممرضات وهي تكوين النساء الماكثات في البيوت حيث تهدف هذه المهمة تلقينهن مفاهيم العلاج عن كيفية إعطاء الأدوية وتغيير الضمادات والاسعافات الأولية (خياطي، 2013، صفحة 531)، وفي مقابل ذلك لعبت ربات البيوت دوراً كبيراً في صيرورة التنظيم الصحي وخاصة في المناطق الجبلية، حيث لعبوا دوراً كبيراً في مساعدة الممرضات وإيوائهن وتزويدهن بما يحتاجونه، كما تم استغلال بيوتهن لفحص المرضى وعلاجهم، وهكذا فقد أصبحت المرأة سنداً كبيراً لهذا التنظيم الصحي وسنداً ودعماً للثورة كلها (حسيني، 2017، صفحة 7).

إن الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية في خدمة التنظيم الصحي للثورة لم يكن خفياً عن سلطات الاحتلال التي استهدفت هؤلاء المجاهدات وسعت للقبض عليهم أو تصفيتهم في كثير من الأحيان، وكمثال على ذلك نجد الشهيدة مسيكة زينة التي سقطت في ساحة القتال سنة 1959 وهي تحاول إجلاء الجرحى والمرضى حيث أصابتها قنبلة جوية أطلقها طيران العدو الفرنسي (لعبيدي، 2016، صفحة 100).

وحول مشقة توفير العلاج للمجاهدين تقول إحدى المجاهدات: «لقد كنا ندفع بالأطفال من أجل شراء نوع معين من الأدوية، لأنه لا يمكن لفرد واحد شراء كل هذه الكمية، وبعد إنهاء عملية الجمع والشراء نقوم بإجراء اتصالات مع المجاهدين الجزائريين لتحديد أماكن محددة يكون فيها التسليم، ثم نقوم بإخراج الأدوية بحذر لتسليمها لهؤلاء المجاهدين في المكان المحدد سابقاً» (محمدي، 2019، صفحة 684).

كانت المجاهدات في الجبال لا يعرفن التعب ولا يباليين بالموت في سبيل الثورة، فنجدهم في الجبال الشاخنة والصحاري يعالجون المرضى ويسعفون الجرحى داخل المغارات والكهوف، ويسيرون مسافات طويلة وشاقة لتنفيذ أوامر المسؤولين لمعالجة المجاهدين وإنقاذهم (بركات درار، 1985، صفحة 35). ومن ذلك تذكر المجاهدة مريم مختاري أنها قامت بعلاج عدد من المجاهدين فتقول: «من المجاهدين الذين عالجتهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر كلا من حمو لعرج ورونشي عبد القادر، وقد تعرض هذا الأخير لإصابة خطيرة غير أن الله أطال عمره...» (كلاخي، 2019، صفحة 58).

خاتمة

كان تشكيل جبهة التحرير الوطني للتنظيم الصحي التابع للثورة عبارة جبهة أخرى من جبهات الجهاد ضد المحتل فقد عبرت من خلاله عن القطيعة التامة مع الاحتلال الفرنسي كما أنها شكلت أحد مظاهر تكفل الجبهة بالمجاهدين الجزائريين وبالشعب الجزائري عموماً.

إن وجود المرأة الجزائرية إلى جانب الرجال المجاهدين في الجبال شكل دعماً كبيراً للثورة التحريرية في جميع الجوانب وبالأخص في الجانب الصحي، حيث أنها ساهمت في تخطي كابوس العلاج في مستشفيات الاحتلال الفرنسي وما يتبع ذلك من تحقيقات قد تؤدي إلى السجن أو الإعدام، فبرغم الصعوبات والمخاطر وقلة الإمكانيات والوسائل إلا أن المرأة الجزائرية تحددت كل ذلك وجسدت مساهمتها الفعالة في تكوين واستمرارية التنظيم الصحي للثورة الجزائرية مساهمة بذلك في إنقاذ وإنقاذ أعداد كبيرة من المجاهدين من الموت المحقق.

وفي الأخير يمكننا القول بأن المرأة الجزائرية قد لعبت أدوراً هامة ومتعددة من أجل نصرة الثورة التحريرية والقضية الجزائرية، ومن أبرز هذه الأدوار نجد تلك الجهود التي بذلتها في الجانب الصحي للثورة التحريرية، حيث ساهمت بشكل كبير في معالجة وتمرير المجاهدين المصابين وإنقاذ أعداد كبيرة منهم من الموت وقد كان ذلك في جميع الولايات ومن بينها الولاية التاريخية الرابعة، ومنه فقد أكدت المرأة الجزائرية على ثبوتها إلى جانب إخوانها المجاهدين وتضحياتها في سبيل الثورة التحريرية واستقلال الجزائر.

ومنه فقد حملت جبهة التحرير الوطني على عاتقها مسؤولية التكفل بالجانب الصحي للشعب الجزائري، وقد نتج عن ذلك تخلي الشعب الجزائري عن الفكر السلبي للطب والأطباء في الجزائر، فبعد أن كان ينظر إلى الطبيب الجزائري على أنه سفير للمحتل الفرنسي؛ أصبحوا يرونه طبيباً جزائرياً يفتش الأرض مع رجال ونساء المشاتي ويعيش معهم نفس المأساة، وبهذا أصبح الشعب الجزائري يسعى للعلاج والشفاء ويرغب في شروح الأطباء والممرضين.

المراجع:

1. بركات درار أنيسة. (1985). نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. بسر عبد الحميد. (2023). نضال وجهاد المرأة السوفية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962. الجزائر: سامي للطباعة والنشر والتوزيع.
3. بكرادة جازية. (2016-2017). دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة 1954-1962. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د تخصص: تاريخ الحركات الوطنية المغاربية. تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ، الجزائر: جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان.
4. بوجلة عبد المجيد. (01 12, 2014). التنظيم الصحي للثورة التحريرية -الولاية الخامسة أنموذجاً. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 02، الصفحات 185-195.
5. بورمضان عبد القادر. (31 ديسمبر، 2023). النظام الصحي للثورة التحريرية الجزائرية بمنطقة جيجل 1954-1962. مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، الصفحات 328-345.
6. بوعزة بوضرساية. (2007). دور المرأة المثقفة في الثورة التحريرية. كفاح المرأة الجزائرية (الصفحات 219-227). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
7. بومالي أحسن. (1985). مظاهر من تنظيم جبهة التحرير الوطني في بداية الثورة 1954-1962. رسالة ماجستير في الإعلام. الجزائر: معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.
8. حسيني عائشة. (ديسمبر، 2017). التنظيم الصحي ودوره في دعم الثورة التحريرية "الولاية الرابعة أنموذجاً". المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 04، الصفحات 1-18.
9. خالدي عبد الحميد. (2007). وقفات في جهاد المرأة الجزائرية. كفاح المرأة الجزائرية (الصفحات 183-201). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
10. خياطي مصطفى. (2013). المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار.
11. دري سميحة. (2018-2019). القيم الفكرية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) تنظيراً وممارسة. أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ، تخصص: الثورة الجزائرية. المسيلة، الجزائر: جامعة محمد بوضياف.
12. سعد الله أبو القاسم. (2017). تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962 (الإصدار الجزء 9). الجزائر: عالم المعارف.

13. عسال نور الدين. (ديسمبر، 2014). الأوضاع الصحية والغذائية خلال الثورة الجزائرية 1954-1962. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 02، الصفحات 169-183.
14. الفضة عبد المجيد. (20 جوان، 2017). البعد الإنساني في الثورة التحريرية 1954-1962. مجلة المعارف لبحوث والدراسات التاريخية، العدد 6، الصفحات 233-266.
15. كافي علي. (2013). مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962. الجزائر: دار القصة للنشر.
16. كلاخي ياقوت. (18 سبتمبر، 2019). مساهمة المرأة في الثورة الجزائرية: مريم مختاري نموذجاً. مجلة عصور الجديدة، المجلد 9، العدد 2، سبتمبر 2019، العدد 02، الصفحات 50-61.
17. لعبيدي خريس. (10، 04، 2016). علاقة هجومات 20 أوت 1955 بالتنظيم في الولاية الثانية التاريخية -التنظيم الصحي أنموذجاً. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 01، الصفحات 82-105.
18. مرابطي رفيقة. (2021). إسهامات المرأة الصحراوية في الثورة التحريرية. مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 02، الصفحات 29-53.
19. مرجع عائشة. (25 مارس، 2017). عوامل التطور والتنظيم الصحي للثورة التحريرية 1956-1962. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 04، الصفحات 237-256.
20. هلال عمار. (2012). نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954. الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
21. مجموعة مؤلفين. (2007). مسيرة نضال وشهادات. كفاح المرأة الجزائرية (الصفحات 317-385). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
22. محمدي محمد. (ديسمبر، 2019). «المرأة الجزائرية وأدوارها الإنسانية خلال الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962»، المجلد 3، العدد 2، ديسمبر 2019، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 02، الصفحات 674-688.
23. ياحي محمد. (2007). المرأة الجزائرية في قلب المعركة عن مساهمة المرأة في حرب التحرير 1954-1962. كفاح المرأة الجزائرية (الصفحات 241-255). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.